

خطاب جلالة الملك

بمناسبة افتتاح المجلس الأعلى للانعاش الوطني والتخطيط

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة :

إننا رأينا لزاماً علينا أن نترأس جلستكم هذه، حتى يمكننا أن نعطي لمجلسنا هذا التوجيهات الضرورية وطرق العمل المجدية لما يحيط بالمغرب من ظروف مالية واقتصادية وسياسية، ولنا اليقين بأننا سوف نجد في إدراككم للأمور واطلاعكم على ما يجري حولكم ما يجعلكم أهلا لتنوير الأبصار، وتوجيه الأفكار حتى يسير هذا التصميم الخماسي الذي نحن بصدده في محجة يرزقها الله سبحانه وتعالى التوفيق والنجاح، ونحيطها نحن بما يجب لها من الجدية والتفاني في خدمة الصالح العام والنظر إلى الواقع وتجنب العثرات حتى ندرك كل نجاح وكل فلاح.

ليس في رغبتنا أن نطلعكم على ما يجيش في نفسنا من حكم حول ما أنجز في السنوات الماضية، ذلك لأننا لا يمكننا أن نكون في آن واحد حكماً ومستشيراً، وإننا سوف نترك لكم ولمجلسكم الموقر هذا العمل حتى يمكنكم أن تأتوا بالنقد البناء لما أنجز على ضوء الأخطاء أو ضوء النجاحات، وأن توجهونا وتوجهوا حكومتنا وإدارتنا حتى يمكن للجميع أن يقوم بما هو بصدده، إلا أنه فيما بين افتتاح الدورة الأولى لهذا التخطيط ويومنا هذا قد جرت أحداث في المغرب وفي العالم تجعلنا ملزمين بالنظر إليها بعين الامعان والاعتبار، كما في علمكم حرب رمضان تلك الحرب التي أراد الله سبحانه وتعالى أن ينصر فيها أهل القرآن خلقت في الميدان العالمي فوضى مالية وسقوط كل اتزان اقتصادي وجعلت جميع الدول تراجع مقاييسها بل تراجع أرقامها، ولم يكن للمغرب أن يبقى بعيداً عن هذا الجانب، بل هو كإخوانه الدول الأخرى سواء في المجموعة الافريقية أو العربية أو الدولية — ولاسيما وأن المغرب لم يكن منتجاً للبترول الذي كان سبباً لهذه الأزمة — كان لزاماً على المغرب أن يعيد النظر في تصميمه وفي تخطيطه وفي تقييمه للأمور وفي تقييمه للأسبقيات وفي تقييمه للضروريات. ومن ثَمَّ أخذنا علنياً من مدينة الرفود أن نوجه رجال حكومتنا وجهة أخرى، وأن نعطيهم أهدافاً تضاف إلى الأهداف التي كانت قررت في التخطيط بل طلبنا من جميع المنتخبين على الصعيد المحلي أو الاقليمي أو الجهوي أن ينضموا إلى هذه الدراسات، وينظروا إلى برامجهم حيث أنه نظرا للظروف والأحداث أصبح ما هو في الصف الثالث في الصف الثاني، وما كان في الصف الثاني أصبح في الصف الأول، وما كان في الصف الأول أصبح في الصف الضروري والحيوي.

ثانياً أردنا أن نعطي لتخطيطنا هذا في صفحته الثانية التي نحن بصدد افتتاحها والنظر فيها ميزة الجهوية، ذلك أننا مومنون أن الرباط وحده لا يمكن الوزراء والتقنيين والعلماء من المعرفة الحقيقية لضرورات البلاد، بل ربما إذا نحن أردنا أن ننزوي في العاصمة سوف نحرم عدداً من الشبان الذين هم في الأقاليم وبالعواصم الاقليمية وبالبلديات من المشاركة، ومن ثَمَّ إلى التعليم ومن ثم إلى التأهل لأخذ مسؤولياتهم يوماً ما، لذا أردنا أن نجعل من هذا التصميم الجهوي مدرسة للموظفين وللمنتخبين حتى إذا هم أتقنوا مخططاً جهوياً أصبحوا قادرين وبل مؤهلين على اتقان تصميم على الصعيد الوطني وهذه سياستنا سواء في الميدان الاقتصادي أو الميدان الاجتماعي

أو حتى في التكوين السياسي لما سنعطيه للجمعيات المنتخبة في المستقبل القريب من مسؤوليات جديدة سوف تجعلها تقف بجانبنا وقفتها التي نريد لها وهي وقفة جدية مجدية نافعة وهذا ما سيكون موضوع خطاب مقبل إن شاء الله.

إن عمليات هذا التخطيط تنقسم إلى ثلاثة أقسام، منها ما هو داخل في برنامج التخطيط الجهوي بما أضيف من برامج ومنتخبين جهويين، وهكذا نجد أنه لا يزيد عن 250 مليار من السنتيمات الداخلة في هذا التصميم الجهوي، ثم ظهر للحكومة أنه في الامكان أن تدخل مشاريع أخرى كبيرة ضخمة تستلزم هي بدورها 927 مليار من السنتيمات، وأخيراً نظراً لما قلت لكم آنفا من تدهور سوق المال وسوق الاقتصاد، كان علينا أن نراجع حساباتنا وترتبت هذه الحسابات على ما يزيد على 450 مليار من السنتيمات.

وهكذا ترون حضرات السادة أن المغرب ينظر ولله الحمد إلى الأمور بجد ووعي، ولكن لا ينظر إليها بعين الخائف المتردد، ذلك أننا نجد أن من تردد تأخر، وإذا نحن سطرنا أهدافنا واخترنا وسائلنا لم يبق لنا مجال لأي تردد بل أصبح الاقدام من أوجب الواجبات.

ليس من الطبيعي ولا من المنتظر أن آتيكم بخطاب فيه الأرقام وفيه تعبير تقني ومالي مفصل عما ننتظره منكم، وليس كذلك من المعقول أن نعوم هذا الخطاب الافتتاحي في نظريات سياسية محضة دون أن نتطرق إلى الجانب السياسي سيما وأن السياسة والاقتصاد أصبحا توأمين يرافق بعضهما البعض الآخر.

قلنا لكم اننا نعيش ظروفاً، ومن هنا يسهل علينا أن نكمل فنقول اننا نعيش ظروفاً وعلينا أن نصل أهدافاً رئيسية، ان من أكبر المعضلات في الدول المتخلفة مشكل تكوين الأطر، وتكوين الأطر لا يعني بالضبط أن علينا أن نفتح المدارس والثانويات، وجامعات بعد جامعات، لا يعني هذا فقط، بل يعني هذا تكوين أكثر ما يمكن من الأطر حتى يملأ الفراغ الموجود في جميع مرافق الدولة وفي جميع مصالحها وذلك بوضع خطة محكمة حتى يتمكن الوطن من الاستفادة من جميع أبنائه حتى الذين رسبوا في امتحاناتهم، فتكوين الأطر لا يعني التعليم وحده، بل يعني الانقاذ أيضاً.

وأمام بعض الحاجيات والواجبات الضرورية الملحة بالنسبة إلينا للأطر المتوسطة أكثر من الأطر العليا لذا أصبح من الواجب علينا حينما نفكر في تكوين الأطر أن نفكر في تقويم وإصلاح ما اعوج وما سقط من الأطر، فإذا نحن ملأنا هذا الفراغ الثاني أصبحنا أغنياء، ذلك أن في الامكان أن نتعاقد مع أساتذة من الخارج، ومع أطباء من الخارج، مع مهندسين من الخارج، ان هناك بعض الواجبات، بل بعض الأشغال التي لا يمكن أن يقوم بها إلا المواطن، لهذا ألح عليكم حضرات السادة حتى تضعوا هذه النقطة تحت الأضواء اللازمة لها، فتضعون لها خطة حتى يمكن للمغرب أن يقوم أولا بواجبه الدستوري، ذلكم أنكم كما تعلمون أن الدستور ينص على أن التعليم والعمل حق لكل مواطن ومواطنة، ولكن لا نعني بهذا أي تعليم، ولانعني بهذا أي عمل، بل نعني التعليم النافع الذي يعلم ويعلم.

ثانياً انطلاقا من هذا التكوين علينا أن ننظر إلى التكوين المهني بعين لا جدال فيها، ذلك أولا : لافتقار المغرب مهنياً، ثانياً : ان المغرب يجد نفسه في الحوار الحرج فيما يخص اليد العاملة رأساً لرأس مع أوروبا، والحالة أن هناك مجالات فسيحة وأفسح من أوروبا بكثير، ألا وهي مجالات افريقيا من جهة والدول العربية والشقيقة في الشرق من جهة أخرى تلك التي تطلب منا المزيد من الأطر المكونة تكويناً مهنياً، وواجب علينا أن لا نبقى

مع مخاطب واحد، بل علينا أن ننوع المخاطبين، حتى نصبح أحراراً أكثر مما نحن عليه الآن وحتى نجيب إلى الخطة التاريخية التي عرفت عن المغرب أنه كان يصدر العلماء والفقهاء والأساتذة، فعلينا إذن أن نربط الحاضر بالماضي ونُكون الأجيال الكافية القابلة للتصدير، والتي من شأنها أن تُبقَي وجه المغرب عالياً مشرقاً.

إنني أهبت مراراً بشعبي العزيز أن يتجنَّد حتى يمكننا أن نسقي المليون هكتار الذي يجعلنا في مأمن من عدة أخطار، وحينما دعوت إلى المليون هكتار كنت لا أرى إلا التغذية فحسب، أما اليوم فعلينا أن نعلم أن الانتاج الفلاحي أصبح في بعض الظروف وعند بعض الدول ذا قيمة أكثر من الذهب وأكثر من البترول، وإذا وقع العالم لا قدر الله في ظروف مجاعة أصبحت التغذية عند الدول التي تعاني من المجاعة أكثر قيمة من البترول أو الذهب، لذا فإن المليون الهكتار سيجعلنا أولا نكتفي بتغذيتنا ولو وصلنا إلى 22 أو 24 مليون من السكان، بل يجعلنا نتوفر على النصف المقابل لما نتغذى به لترويجه في السوق الجغرافية المحيطة بنا، وهذا يمكننا كذلك بأن تكون عندنا زيادة على عملتنا البشرية التي ذكرت بتكوين الأطر وتكوين الأطر العليا أو المتوسطة والصغرى عملة التغذية وأخيراً عملة الخيرات المعدنية التي اكتشفناها أو التي سوف نكتشف منها الحظ الكثير إن شاء الله، سوف نجعل في يد المغرب ثلاثة أصناف من الوسائل للتعامل في السوق الدولية حسب الظروف وحسب ما يحيط بالظروف المالية والنقدية الاقتصادية.

لذا أريد منكم أن توجهوا حكومتنا التي هي واعية حق الوعي ويظهر هذا الوعي في ميزانية هذه السنة، أريد منكم أن توجهوها أكثر للتنقيب عن الخيرات المعدنية ذلك أننا موقنون أن بلادنا متوفرة ولله الحمد على خيرات كثيرة ومتنوعة وكما قلت لكم آنفا في الظروف والملابسات الراهنة كلما وقع التنقيب عُثر على ما عنده قيمة تجارية لا شك فيها، بالطبع كل دولة لها امكانيات ووسائلنا كذلك لها مطامح ومصالح لا تنحصر فقط في التكوين ولا في الفلاحة ولا في التغذية، فلها مطامح كذلك حتى تصبح بضاعتها تروج في السوق الخارجية، وهذه البضاعة لا يمكنها أن تكون رائجة إلا إذا توفر المغرب على صناعة ثقيلة بالطبع.

الصناعة الثقيلة تنقسم إلى قسمين.

الصناعة الثقيلة الحقيقية، والتي تسفر عن الخيرات وعن الأرباح، والصناعة الثقيلة التي لاتكون إلا مرآة لفخفخة أو لشيء من العجرفة الشيء الذي لم يكن قط ولن يكون إن شاء الله في سياسة المغرب.

وحينما نذكر الصناعة الثقيلة نذكر الصناعة التي نحتاج لها بل نذكر الصناعة التي من شأنها أن تحقق لنا وثبة أخرى إلى الأمام من فولاذ وصلب ومن صناعات فلاحية ومن صناعات بتروكيماوية، ومن صناعات متعددة الأصناف مفتوحة الأسواق تكون قد أقيمت للنفع ولم تكن قد أقيمت للعجرفة كما قلت لكم ولا لأنانية الدولة.

هذه حضرات السادة بعض النظريات أردنا أن نعرضها عليكم، ولكن عليكم كذلك أن تفكروا في التخطيط الذي هو مولد المكتسبات أن تفكروا كذلك في وسائل تحصين المكتسبات، ومن هنا ننطلق إلى واجباتنا كمغاربة مدنيين كنا أو عسكريين، فحينما نسمي وزارة الدفاع الوطني من هنا. أولا نعطي عن المغرب صبغة المدافع لا صفة المهاجم، صفة الذي دافع عن مكتسباته أي يدافع عن حقوقه حتى لاتضيع ولا تداس، وحتى فكرة الدفاع الوطني علينا أن لا نقصرها فقط على الميدان العسكري، بل الدفاع الوطني أصبح شيئا مجملا يهم الجميع.



الدفاع الوطني هو في فكر كل مغربي ومغربية، الدفاع الوطني هو إيمان كل مغربي يقوم بعمل عليه أن يومن به، فلا مجال للمتشككين ولا مجال للكافرين بالحقيقة بل علينا أن نكون أجيالا تؤمن بمغربيتها بل تؤمن بأن من أوجب واجباتها أن تضحي سواء كانت باللباس العسكري أو باللباس المدني — بحياتها ان اقتضى الحال، أن تضحي بأوقاتها في مكتبها في معملها في حقلها في جميع وجوه نشاطها.

علينا أن نعلم أن الدفاع الوطني يوجب علينا أن نعيد النظر كل النظر في طرق التعليم وتلقين القيم الروحية الدائمة لهذه البلاد، إذ جيلنا يجهل تاريخه، ويجهل تاريخ بلاده، فلا اعتدادَ بمن لا يعتزُّ بمغربيته، ولكننا اذا نحن لقنا أبناءنا تاريخ المغرب منذ إدريس الأول إلى الحسن الثاني أعطيناهم من الأسلحة وأعطيناهم من الدوافع والبواعث ما يجعلهم يجرون أذيال الفخار أمام جميع الدول ونجعلهم يسترخصون أنفسهم وأسرتهم وحياتهم ومصالحهم في سبيل التضحية عن ذلك الأصل الذي أراد الله سبحانه وتعالى أن يكلل به ناصية هذه الدولة ويكلل به رأس هذا الشعب.

هذا حضرات السادة فالتخطيط شيء هائل ولكن تحصين المكتسبات هو أسبقية الأسبقيات، فالتحصين ينقسم إلى ثلاثة أقسام تحصين مادي وذلك بإعداد الجيش الملكي اعداده بالعتاد وما يتطلبه من آلات حتى يمكن أن يقوم بواجبه أحسن قيام، التحصين يقتضي أن نجند كل واحد منا ويعلم أن الدفاع الوطني معناه الدفاع اللازم والواجب على كل مواطن نحو مواطنيه.

النقطة الثالثة، التحصين يعني أن نحصن أبناءنا ونسلحهم بمراجعة أساليب التعليم والتلقين وبالأخص من الناحية التاريخية للمغرب حتى يكونوا على أهبة دائمة للدفاع عن وطنهم، نعم سوف تقولون انه ليس لدينا من الأساتذة ما يكفي للتعليم وهنا أقول لكم هذه ضرورية أفضل أن يتعلم ابني وفلذة كبدي أن يتعلم ويعلم تاريخ بلاده ولو عن طريق لغة أجنبية ولا يلقن تاريخ جان دارك باللغة العربية فهذه كذلك مسألة برامج ومسألة تخطيط ومسألة توجيه.

لي اليقين حضرات السادة انكم تعلمون ما يعيشه المغرب اليوم من ساعات لذيذة من ساعات مشرقة نيرة، من ساعات لم يكن للمغرب الا يعلمها والا يعيشها فترة بعد أخرى، ألا وهي ساعات التجنيد، أما للكسب أو للدفاع، وتاريخ المغرب لم يرد الله سبحانه وتعالى أن يجعل منه تاريخا بسيطًا مبسطًا لا مذاق له ولا حار فيه ولا ملح بل أراد الله سبحانه وتعالى لهذه البلاد أن يجعل من تاريخها وحياتها أكلة شهية متنوعة طيبة يستسيغها كل واحد بفرح بل بنهم وشره.

وهكذا حضرات السادة يعيش المغرب فترة أخرى من تلك الفترات من تاريخه المتنوع ألا وهي فترة التحرير والضم علينا أن نحرر لنضم ما سنحرر من بلادنا، وهنا نريد أن ننتهز هذه الفرصة لنؤكد مرة أخرى ما قلناه، إننا نومن بالسلام ونومن بالطرق السلمية، بل نحن الأولون الذين طالبوا باللجوء إلى محكمة العدل، ولنا اليقين بأن محكمة العدل الدولية سوف تنصفنا، ولكن كذلك وفي آن واحد نحن مستعدون إلى آخر مغربي للدفاع عن ما نراه من حقوقنا بل أقول لكم — وإنني أزن ما أقول — إذا لم نسترجع صحراءنا فإنني جد متشائم فيما يخص مستقبل المغرب وفيما يخص تاريخ المغرب كدولة وكمجموعة.

إن استرجاع الصحراء استراتيجيا وسياسيا وعاطفيا أعتقده أكثر وأخطر من استرجاع الاستقلال، ذلك أن الاستقلال كنا دائما نأمل أن يرجع لنا وأن نفوز به، أما الآن فإننا لا نجد أمامنا دولة واحدة ربما تخشى العار من الضمير العالمي أو تخشى العار من التاريخ بل نجد أنفسنا أمام تدخلات متعددة وأطماع مختلفة سوف تقف

في طريقنا وسوف تعرقل سيرنا، علينا أن نواجه هذه الفترة بوجه باسم مشرق، لأنني كما قلت لكم نعيش نحن وإننا نحمد الله أن يعيش أبناؤنا — لأنهم لم يعيشوا معنا مرحلة التحرير الأولى — أن يعيشوا هذه الجولة الثانية، فأنا مسرور جدا أن يكون أبناؤنا شركاء لنا في هذه الفترة وأقول لكم علينا أن نواجهها باطمئنان وطمأنينة والوجه الباسم ذلك إما أن نفوز بما نريد أن نفوز به فعلينا أن نبتسم واما علينا أن نستشهد فعلينا أن نسير إلى ميدان الشهادة بالابتسام كما كان يفعل ذلك الصحابة وفي الحقيقة إذا نحن اعتبرنا أن التخطيط يستوجب التنسيق رأينا أن المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية يتداخل بعضها في بعض، فعليكم إذن أن لا تعدوا أي زاوية من هذه الزوايا التي طرحتها أمامكم تاركاً لما أوتيتم من علم ومعرفة ودراية، تاركاً لكم أن تزودونا وترشدونا وتشيروا علينا بما ترونه أهلا لهذا البلد وخير لهذا البلد.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يديم علينا نعمته ويكلأنا برحمته ويمدنا بعونه ويهدينا مستقيم صراطه علماً منه سبحانه وتعالى أننا لا نطالب إلا بالحق ولن نطالب إلا بالحق، إنه نعم المولى ونعم المصير.

والسلام عليكم ورحمة الله.

ألقي بالرباط

الثلاثاء 6 جمادى الثانية 1395 — 17 يونيو 1975